القرن الصغير

أود في مستهل هذا الفصل أنْ تقرأ الأصحاح الثامن من سفر "دانيآل".

سبق أن كانت لـ"دانيآل" رؤيتان عن المستقبل، كان فيهما توافق بين تعبيره لحُلم "نبوخذ نصر" في الأصحاح الثاني، وبين حُلمه بالوحوش الأربعة الصاعدة من البحر، في الأصحاح السابق. فكلاهما يُخبر عن أربع إمبراطوريات عالمية آتية.

وفي هذا الأصحاح تظهر له رؤيا ثالثة، تتوافق أيضا مع سابقتيها، لكنها تحتوي على قدر مميَّز من المعلومات الجديدة. وأود أن أُلفِت انتباهكم إلى أن سفر "دانيآل" قد كُتب أصلا بلغتين اثنتين، فالأصحاح الأول، والآيات الثلاث الأول من الأصحاح الثاني، كُتبت بالعبريَّة، ومن الآية الرابعة في الأصحاح الثاني إلى آخر الأصحاح السابع، استخدمت اللغة الأراميَّة. أما باقي السفر فقد كُتب بالعبريَّة.

لقد رأى "دانيآل" الرؤيتين السابقتين، بينما كانت "بابل" لا تزال قائمة، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لهذه الرؤيا. لقد ظهرت قبل أن تعلن أصابع يد إنسان، هلاك "بيلشاصر" في السنة الثالثة لمُلكه (عدد1).

ظهرت الرؤيتان السابقتان بالليل، وكانتا حُلمين، أمّا هذه الرؤيا فلم تكُن كذلك. لقد رآها في النهار بينما كان يَقِظا (عدد2 و 27). لو لم يكن واعيا وقت تلقّيه للرؤيا، فكيف فقد وَعْيَه في آخرها؟

لقد كان "دانيآل" في الروح، لكنه لم يكن نائما. لم يكن "حُلم يقظة" حسب التعبير الذي نستخدمه اليوم. لقد كانت رؤيا روحية أُعطيت له أثناء النهار، وكانت مشابهة في بعض الجوانب لتلك السابقة؛ ولهذا يتكلم عنها "دانيآل" بالطريقة التي وردت في نهاية

عـدد1 قـائلا: "بعـد التـي ظهـرت لـي فـي الابتـداء". لقـد نُقِـل "دانيـآل" بـالروح إلـى "شوشان"[1] ؛ وجلس بجانب نهر "أولاي"[2]. وهناك تلقَّى الرؤيا.

ماذا رأى "دانيآل" وماذا سمع ؟

ما رآه وسمعه مكتوب في الأعداد 3 – 14. جلس "دانيـآل" بـالروح بجانـب النهر، ورفع عينيه فرأى كبشا له قرنان، وبينما كان يلاحظ ذلك أصبح الواحد أكبر من الآخر. لقد كان القرنان كبيرين، لكن الذي ظهر أخيرا هو الذي أصبح الأكبر.

إن الكبش الذي له قرنان يرمز إلى إمبراطورية "مادي وفارس"، وهذا واضح في عدد20 "أما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادي وفارس".

ويؤكـد التـاريخ حقيقـة كَـون الإمبراطوريـة الماديَّـة الفارسـية مؤلَّفـة مـن أُمَّتَـيْن، وأسقطت "بابل". فـي بـاديء الأمر، كـان لـ"مـادي" اليد الطـولى، وكـان "داريـوس" واحداً منها، وأصبح الحاكم الأول للإمبراطورية المتحدة. إلا أن ذلك لم يستمر طويلا؛ فبعـد زمـن وجيـز، أصـبحت "فـارس" هـي الـسائدة، واعتلّـى " كـورش" العـرش الإمبراطوري. وكان الكبش حينذاك رمزًا لبلاد "فارس"، وكـان المَلك يحمل صـورة كبش أمامه، حينما يذهب إلى معركة؛ لذلك لا نتعجب في رؤيا "دانيآل"، أن نجد الكبش رمزا لإمبراطورية "مادي وفارس".

---

(1) شوشان: مدينة أصبحت عاصمة الإمبراطورية الفارسية بعد انهيار "بابل".

(2) أولاي: قناة صناعية ضخمة عرضها 900قدم. وكانت تصل بين نهرين كبيرين، فيمكن للسفن التي تمر في احدهما أن تعبر للآخر.

إنّ من خصائص الكِباش أنها عدائية تنطح بقرونها، وشاهد "دانيآل" هذا الكبش ينطح غربا وشمالا وجنوبا، ينطح في كل جهة عدا الشرق (عدد4). وهذه حقيقة

تاريخية، تدل على انتصارات "مادي وفارس"، خاصة تحت قيادة "كورش". من الرؤيا الأخيرة، نجد أن إمبراطوريتهم وُصِفت بالكلمات التي وردت في عدد5 في الأصحاح السابع: "قم، كُل لحما كثيرا". لكنهم لم يستطيعوا أن يتوسعوا في الشرق، وما فتحوه هناك فقدوه سريعا. إن ما رآه "دانيآل" في هذه الرؤيا النبوية، متوافق تماما مع الأحداث التاريخية التي حدثت لاحقا.

لكن الآن، يتغير الحُلم (5)، فهناك تيس من المعز جاء سريعاً من المغرب، ولسرعة جريه؛ فإن أقدامه لم تَمس الأرض، وكان لهذا التيس قرن واحد في منتصف رأسه.

ما هذا التيس القادم من المغرب على وجه كل الأرض؟
يخبرنا عدد21 أنه الإمبراطورية اليونانية، والقرن هو أول ملوكها، المسمَّى "الإسكندر الأكبر". وعدم ملامسة أقدامه للأرض ترمز لسرعة فتوحاته، كما أنّ: "على وجه كل الأرض" ترمز إلى كثرة فتوحاته.

ويتابع "دانيآل" المشهد، ويرى التيس يصطدم بالكبش (عدد6)، مستشيط الغضب، وفي شدة قوَّته وثورته، ضرب الكبش وطرحه أرضًا وداسَه، ولم يكن للكبش مُنقِذ من يده (عدد7). لقد أُذِلَّ تماما، وانكسر قرناه، وانتهت مقاومته. إنها نبوءة عن الخضوع والهزيمة الكاملة لإمبراطورية "مادي وفارس" أمام اليونانيين. ومضى "دانيآل" يقول: "فتعظَّم تيسُ المَعْزِ جدا" (عدد8).

انتفخ "الإسكندر" بسبب كثرة فتوحاته، وتعظَّم، إلا أنّ كبرياءه دام فترة قصيرة، وفي أوج قوَّته انكسر: "ولمّا اعتزّ انكسر القرنُ العظيم". وهكذا انكسر القرن العظيم، ومات "الإسكندر". وعدد8 لم يُشِر إلى مَنْ كَسرَه، لأنها كانت يد الله التي لا تُرَى. لقد مُدَّتْ إلى ذلك القرن العظيم فكسرته إلى الأبد.

لم يمُتْ التيس عندما مات "الإسكندر"، واستمرت الإمبراطورية اليونانية بعد موته، وحل محله أربعة آخرون (عدد8). انقسمت الإمبراطورية عقب موته إلى خمسة أقسام، إلا أنّها استقرت فيما بعد في أربعة أقسام متميِّزة. فقد صارت "مكدونية" من نصيب "كاساندر"، و"تراكية"، و"آسيا الصغرى" لـ"ليسيماكوس"، و"سوريا" لـ"سلوقس"، و"مصر" لـ"بطليموس".

وهكذا تمت قسمة الإمبراطورية، فعِوضا عن القرن العظيم أصبح هناك أربعة بارزين، لكن أحدا منهم لم يكن عظيما، مثل القرن الأصلي.

علينا أن نفهم أنه لم يحدث شيء غير ما تنبأ به الكتاب المقدس؛ فما رآه الآخرون بعد الأحداث، رآه "دانيآل" في رؤيا نبويَّة قبل أن يحدث.

إن انتباه "دانيآل" الآن موجه للقرون الأربعة، ووجد قرنا صغيرا خرج من واحد منها (9)، ومن بداية صغيرة، كبر إلى أن أصبح قوة هائلة. امتد سلطانه للجنوب والشرق، ثم إلى فخر الأراضي، إلى أرض الموعد، أرض كنعان.

لاشك أن عدد9 يشير إلى قيام رجل قد عُرف في التاريخ باسم "أنطيوخوس إبيفانيس Antiochus Epiphanes". والنبوءة أظهرت أنه خرج من أحد الأقسام الأربعة للإمبراطورية اليونانية، ألا وهو القسم الخاص بـ"سلوقس"، وسرعان ما دمّر مصر بجيش هائل، ثم اتجه شرقا وأخذ Elymais و"أرمينيا"، ثم احتل أرض كنعان. من "السلوقيين" قام ذلك الرجل المضطهد (الجبار) لشعب الرب، وهو "القرن الصغير" المذكور في ذلك الأصحاح. لقد كتب عنه المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" ما يلي: "وقام منهم مَلك، وشَنَّ حربا على الأمة اليهودية وشرائعها، وحرَمها من إقامة حكومة ترتبط بتلك الشرائع، وأتلف الهيكل، ومنع تقديم الذبائح لمدة ثلاث سنوات. لقد مرَّت أُمتنا اليهودية بتلك المِحَن تحت حُكم "أنطيوخوس إبيفانيس"، تماما كما رأى "دانيآل" وكتب قبل ذلك بسنين كثيرة".

هذا القرن الصغير "تعظَّم حتى إلى جُند السماء، وطرح بعضا من الجند والنجوم إلى الأرض، وداسهم" (عدد10). ما معنى ذلك؟ يمكننا أن نفهم ذلك أكثر، إذا تذكرنا ما جاء في سفر الخروج (7: 4و 12: 41) أنّ أسباط إسرائيل، أُطلق عليهم "أجناد الرب". إنها ليست إشارة إلى الملائكة، بل إلى جرائم "أنطيوخوس" ضد شعب الرب، الذين سَحَقَهم بكل قسوة. فاضطهادهم هو في الحقيقة خطية ضد السماء. لقد اتضح ذلك جليا في كلمات يسوع، التي قالها من السماء لـ"شاول الطرسوسي": "شاول شاول لماذا تضطهدني؟" (أع9: 4).

لم تكن هذه نهاية شر وتجديف "أنطيوخوس"، فبقية الأعمال يُتنبأ عنها في العددين 11و 12، إذ تحدَّى الرب "رئيس الجند"؛ فأبْطل كل عبادات الهيكل. وبرغم أنه لم يُدمِّر الهيكل، إلا أنه دنَّسه بصورة جعلته لا يمكن استخدامه. كل ذلك قد كُتب، قبل أن يحدث، في عدد11 من هذا الأصحاح. ماذا يعني عدد12؟ إذا استخدمنا الترجمة المعتمدة، فالمقصود بالجزء الأول منه: "وبسبب المعصية سُلِّط على جند القديسين وعلى المحرقة الدائمة..."؛ إذ أن الذبائح اليومية كانت تُعطى في يد "أنطيوخوس"، فكان يدنِّسها. وبنفس الطريقة سُلِّم عدد كبير من أسباط إسرائيل إلى يده، ففعل بهم كل ما حلا له، وطَرَحَ الحقَّ على الأرض، ومارَس شروره دون رادع له، ونجح. كانت حقا فترة معاناة فظيعة لشعب الرب. كل شيء بدا مُظلِما، وبدا أنه ليس نور على الإطلاق.

كانت تلك هي الرؤيا التي رآها "دانيآل". وبينما كان يرى ويسمع، سمع "قدُّوسا واحدا يتكلم". إنه "قدُّوس واحد"، إنه ملاك (13). يبدو أنّ هذا الملاك كان يحكي لملاك آخر عن الأحداث التي سوف تحدث، والتي رآها "دانيآل" في رؤياه. واستفسر الملاك الثاني قائلا: "إلى متى ستَستمِر تلك الأحوال المُريعة؟ إلى متى سيظل لذلك الرجل الفظيع، سلطان على شعب الرب؟!" إلى متى يستمر اضطهاد وانتهاكات وتجديف "أنطيوخوس"؟ وجاء الجواب في عدد14: "إلى ألفين وثلاث مئة صباح ومساء فيتبرأ القُدس".

عندما يتعلق الأمر بالأعداد في الكتاب المقدس، يُجْمِع العلماء أن السنة ثلاثمائة وستون يوما، وعندئذ نعتبر أنّ هذه الفترة، ست سنوات وأربعة أشهر. وهذا يرتبط بما حدث، فقد اضطهد "أنطيوخوس" اليهود، واستمر في جبروته من عام 171 إلى 165 ق.م. وخلال السنوات الثلاثة والنصف الأخيرة، من تلك الفترة، تحوَّل هيكل الله إلى هيكل للوثن، تُقدَّم فيه ذبائح للأوثان. وفي عام 165ق.م وقفت الثورة المكابية أمام النظام الوثني، وأوصت بإعادة تنظيم الهيكل وتطهيره من الأوثان، وأُعيد افتتاحه لعبادة يهوه. وبعد ذلك بقليل، مات "أنطيوخوس"، وتحقق الوعد، الذي ورد في آخر عدد14، بكل دقة كما رآها "دانيآل" وسمعها في النبوءة قبل ذلك.

ماذا يعني كل ذلك ؟!

التفسير الإلهي قد أُعطي بدءًا من عدد15 ويستمر حتى نهاية الأصحاح. ولكن هناك بعض التفاصيل لم نُشِرْ إليها بعد، ونحن بصددها الآن، وفي نفس الوقت سنؤكد على بعض النقاط التي تعرضنا لها من قبل.

بعد أن رأى "دانيآل" الرؤيا، طلب المعنى (عدد15)، ولما طلب المعنى، إذ بشبه إنسان واقف أمامه. واحد ليس بإنسان، لكن له مظهر وهيئة إنسان. وكانت تلك هي الطريقة الشائعة التي يُوصَف بها ملاك في الكتاب المقدس؛ فالزائر كان ملاكا.

ذُكر اسم ملاكَيْن في الكتاب المقدس: "جبرائيل" المذكور هنا، ومعناه "رجل الله"، والثاني رئيس الملائكة "ميخائيل"، وسوف نقرأ عنه في (10: 13).

الأمر الثاني أنّ "دانيآل" سمع صوت إنسان، يُعطي تعليمات لذلك الملاك (عدد16). لقد أصاب "جون كالفن"، عندما لفت أنظارنا إلى أنّ ذلك الصوت، لا يمكن أن يكون لغير الرب يسوع المسيح؛ فَمَن سواه يمكنه أن يأمر الملائكة؟! ومَنْ غيره يستطيع أن يفعل ذلك بصوت إنسان؟ هذا تأكيد على تَجسُّده المُزمع أن يكون. "نادى وقال يا جبرائيل فَهِّمْ هذا الرجل الرؤيا" (عدد16). وتنفيذاً لأمر المسيح، اقترب "جبرائيل" من "دانيآل" (عدد17).

امتلأ النبي رُعبًا. إنه خاطيء في حضرة البرِّ، فسقط على وجهه، كما يمكن أن يفعل أي إنسان مِنّا في مثل ذلك الموقف. "دانيآل" ليس في حضرة الله، ولكن يكفي أن يكون في حضرة رسوله، أحد ملائكته، حتى يمتليء بإحساس عدم الاستحقاق للمُثول أمامه.

لكن إحساس "دانيآل" بالخوف، لم يمنع الملاك عن الكلام، فناداه قائلا: "يا ابن آدم"؛ ليؤكد على ضعف النبي، وفي الوقت ذاته يُشدِّده ويجهِّزه لسماع التفسير الإلهي عن هذه الرؤيا: "افهم يا ابن آدم، إنّ الرؤيا لوقت المُنتهَى" (عدد17).

لا يمكن أن يكون المشار إليه هنا هو نهاية العالم؛ فتحديد القرن الصغير على أنه "أنطيوخوس إبيفانيس" واضح لدرجة لا يمكن إغفالها. إن الرؤيا تشير إلى أيام هذا المُضطهد اليوناني، وليست عن نهاية العالم.
إذن، إلى أي شيء يشير "جبرائيل"؟!هناك إجابة واحدة: إنه يتكلم عن نهاية أيام الضيق، الذي كان على اليهود أن يجتازوه قبل عصر ملكوت المسيَّا.

إنّ خبرة مُخاطبة الملاك، كانت ذات وقع كبير على "دانيآل"؛ لذا امتلأ خوفا ورُعبا ففقد وَعْيَه (عدد18). كان بحاجة إلى أن يلمسه "جبرائيل"، ويوقفه على قدميه، قبل أن يُكمل تفسير الرؤيا.

إنّ كلمات "جبرائيل" -: "هأنذا أُعرِّفك ما يكون في آخر السُّخْطِ لأن (الرؤيا) لميعادِ الانتهاء" (عدد19)- تؤكد التفسير الذي قدَّمناه في نهاية (عدد17)، والملاك يؤكد أنّ الرؤيا ستحدث، والرب قد عيَّن أنّ ذلك سيحدث في النهاية الأخيرة لغضبه على اليهود.

أمّا أولئك الذين يرون أن هذه الرؤيا تُشير إلى نهاية العالم، إنما هم يُفضِّلون نظرياتهم على كلمات الملاك.

من الصعب أنْ نَرَى شخصا يُسيء فهم معنَى الرؤيا؛ فـ"الكبش" قد تحدد أنه "مادي وفارس" (عدد20)، و"تيس المعز" قد وُصف بأنه "الإمبراطورية اليونانية"، و"القرن" هو "الإسكندر الأكبر" أول ملوكها (21). والقرون الأربعة التالية له هي الأربعة أقسام للإمبراطورية اليونانية، بعد انقسامها، وإن كانت ليست بنفس قوة ذلك المَلك الأول (عدد22)، وبقرب نهاية سلطانهم يخرج ذلك القرن الصغير (عدد23).

إنّ اعتبار أنّ الرؤيا تتكلم عن نهاية العالم ليس ضربا من الخيال فقط، بل هي أيضا ضد التفسير الإلهي المُعطَى بفم الملاك. والعديد من التفاسير الحديثة لذلك الأصحاح فيها تضارب صريح، وتُناقِض قَول السماء.

لنتأمل وَصْف مجيء "أنطيوخوس إبيفانيس" في الأعداد 23 – 25. إنه يُوصَف بأنه "ملك جافي الوجه"، وقد كان كذلك؛ فقد سَجَّلت عنه صفحات التاريخ أنه جاف، صلب، قاسٍ وعنيد. وقيل عنه أيضا: "فاهِمُ الحِيَل"، إشارة إلى حقيقة أنه قد مارس الخداع، وكان من الصعب خداعه. وقيل: "وتعظم قوته، ولكن ليس بقوته" (عدد24). حقا كانت له إنجازات هائلة، لكن لم تكن نتيجة براعته ودهائه، بل كان ذلك بتدبير من الرب. وقيل أيضا: "يُهلِك عَجَبا، ويَنجحُ ويفعلُ ويُبيد العظماءَ وشعب القديسين" (عدد24). كانت تلك نبوءة عن أنه سيُهلك لدرجة هائلة، ويَعظُم من قوة إلى قوة في شروره، ويُوقِع بخصومه، وبعدها ينفث سمومه على يهود العهد القديم، وعلى البقيَّة التقيَّة التي أحَبَّت المسيح الآتي.

لقد كان في وقتٍ ازدهر فيه الخداع والمكر في الأرض، فقِيل عنه: "وبحذاقته ينجح أيضا المكر في يده" (عدد25). وحين امتد مُلكُه، أصبح منتفخا، شاعرا في نفسه بعظم شأنه؛ لذا قيل عنه: "... ويتعظم بقلبه. وفي الاطمئنان يُهلك كثيرين"، وكان ذلك وصفا دقيقا لسياسة "أنطيوخوس" المعتادة. فقد كان يُصادق أناسا كثيرين، وعندما يفقدون تحصيناتهم، ويشعرون بعدم حاجتهم لحرَّاسهم كان يقتلهم. وأخيرا تمرَّد على "رئيس الرؤساء" وهو الله.

ونكرِّر القول بأن تلك نبوَّةٌ عن أن هذا القرن الصغير الآتي، سيكون ضد الرب بكل صراحة، وكان ذلك أوضح معالم حُكم "أنطيوخوس" المُرعب.

ولنلاحظ نهاية عدد25: "... وبلا يدٍ ينكسر"؛ فالحجر الذي حَطَّم التمثال في حُلم "نبوخذ نصر" قد قُطِع "بدون يد" (2: 34). وكانت أصابع بلا يد، تلك التي أنذرت بهَلاك "بيلشاصر" (5: 5). إن نفس اليد هي المسئولة عن كسر "أنطيوخوس". فعندما يتعاظم الطاغية، فليس له من رادعٍ سوَى يد الرب، التي لا تُرى، فتزيله من على مسرح التاريخ.

أكَّد الملاك لـ"دانيآل" في عدد26 قائلا: "لقد قيل لك الحق، ولكن اكْتُم الرؤيا- لا المستقبل....- لأنها لن تتحقق إلا بعد أيام كثيرة". وقد كان، ففي أيام "أنطيوخوس" المُظلمة، وحين كان يُطارد ويَقتل شعب الله؛ كانت الحاجة إلى كلمات التعزية، التي وردت في هذا الأصحاح. فعَلَى مدى تلك الفترة، عاش شعب الرب في تعزية، لأن ذلك الشرير لم يستطع أن يدخل التاريخ بدون السماح الإلهي له، وأن كل ما فعله – مهما كان فظيعا - لم يكن سِوَى ما أنبأ الرب به، منذ قرون، قبل أن يحدث. لقد عَلِموا أنه في الوقت الذي يحدِّده الرب لتحقيق ما جاء في عدد25، سيصرعه الله أخيرا. بهذه المعرفة كان لهم عزاء لا يوصَف، في تلك الفترة الرهيبة من الزمان.

كان لهذه الرؤيا تأثيرها فيما بعد، لكن ماذا كان أثرها في "دانيآل" الذي رآها أولا؟! في عدد 27 ندرك الأثر. لقد ارتبك وأصبح مريضا، لدرجة أنه لم يستطع خدمة الملك. لم يستطع أن يرجع لعمله، وعندما عاد لمباشرة عمله، ظل انطباع الرؤيا في ذهنه؛ فظل متحيِّرا، ولم يفهمها كل من سمع عنها، ولم يستطع دانيآل أن يبتهج بالإعلان الذي يؤكد أن كَبْح جماح الشرِّ بات وشيكاً.

ماذا يعني ذلك لنا ؟

يجب ألاّ نترك هذا الأصحاح، دون أن نأخذ دروسا منه. أحد هذه الدروس أن نتعلم أنّ مجيء "أنطيوخوس" قد وُصِف هنا بـ"القرن الصغير" (عدد9). وقد سبق وقرأنا في الأصحاح السابق، عن قرن صغير آخر، وهو شخص سوف يأتي في نهاية الزمان، ويذِلّ شعب الرب بأسلوب لم يسبق له نظير. لاشك أنه يصعب علينا الاعتقاد بأن ذلك الشخص هو حقيقة، وأنه سوف يُستأصَل بسهولة كما تَعلَّمنا.

الأصحاح الذي ندرسه الآن يتكلم عن "أنطيوخوس" كـ "قرن صغير". لقد جاء كما كُتب عنه تماما، وقُضي عليه ببساطة، كما تُنبيء عنه. إن أولئك الذين سمعوا مُسبقاً عن النبوَّات الخاصة به، غالبا كان يصعب عليهم تصديقها، لكن ذلك لم يمنع حدوثها. إنّ الأحداث المُستقبَلية التي ننتظرها، هي حقائق بنفس الكيفية، ويجب أن نعيش في ضوئها. وحقيقة مجيء "ضد المسيح" تجعلنا في حالة يقظة دائمة، وحقيقة القضاء عليه تدعونا أن نكون في بهجة كل حين.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، لماذا استُخدِم القرن الصغير في وصف كل من "أنطيوخوس"، في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، و"إنسان الخطية" في آخر الزمان؟ إنهما شخصان مختلفان؛ فأحدهما قد جاء فعلا، أمّا الآخر فسوف يأتي فيما بعد.

لكن لماذا يوصفان وصفا واحدا؟!
ذلك لأنهما، من حيث التقدير الحقيقي، هما شيء واحد، فالعهد الجديد يُسلّط الضوء على هذه النقطة. إنه يُخبرنا عن مجيء شخص، هو "ضد المسيح" كما رأينا، وكذلك يُخبرنا أنّ روح "ضد المسيح"، موجود فعلا في العالم، وأنّ كثيرين من "أضداد المسيح" قد جاءوا فعلا إلى العالم (1يو2: 18 – 19و 4: 3 و2يو7).

إنّ "أضداد المسيح" السابقين، قد لُقّبوا بنفس لقب الأخير، لأنهم بشائره، وهو أعظم قوة وأفظع شرا، ولن يختلف في النمط عمّن سبقوه، وسوف يعمل ما عملوه، وبدرجة أعلى كثيرا. إنّ مجيئه لن يقدم للعالم شيئا ذا نمط جديد، لكن ذا قوة أكثر.

سيكون هناك قرون صغيرة كثيرة، قبل ذاك الأخير، وقد كان "أنطيوخوس إبيفانيس" واحدا منها. كما جاء أيضاء للعالم عديد من القرون التي تحدَّت الرب، واضطهدت شعبه، وأرادت أن تسحقه وتمحوه من الوجود، مثل "نيرون" و"هتلر" و"خروشوف" و"ماوتسي تونج" و"هاكسي لليشي"، آخر رئيس شيوعي لـ"ألبانيا"، وعدد كبير من الباباوات. كل هؤلاء نماذج للقرون الصغيرة. هم قرون صغيرة بالنسبة للرب، وبالنسبة لنا؛ فقوَّتهم شديدة وهائلة، لكن في عينيِّ الرب هم قرون صغيرة. إن كبرياءهم تُوحي بالثقة أنهم باقون للأبد، لكن بالنسبة للرب لا تعني شيئا، فهو يحتقر تلك القوة البائدة، يمحوها متى شاء. سوف يمحو "ضد المسيح" الأخير، بنفس السهولة المقتدرة، كما يقضي على أي واحد من "الأضداد" عندما يريد. وما يختلف فيه الأخير، هو أنه آخر من يقف في صف الطغاة.

الرب يسخَر من السلطان البشري، فإمبراطورية "مادي وفارس" كانت بالنسبة له كبشا منطرحا أرضا، وقوة اليونان ما هي إلا واحدة من قطيع أغنام، و"الإسكندر الأكبر" هو قرن هش، يسهل كسره بإصبعه.

لكن ماذا عن "أنطيوخوس إبيفانيس" ؟
لم تكن مملكة "أنطيوخوس" كبيرة جدا، لكنها كانت هامة عند الله، فحاكمها جدَّف في وجه السماء؛ لذا خُصِّص له مكان كبير في هذا السفر، بالمقارنة بالإمبراطوريات العالمية المذكورة فيه.

إنّ الله لا يقيس أهمية أحداث العالم مثلما نقيسها نحن. إن الأهمية النسبية لحَدَثٍ أو نظام ما عنده، تكون بقدر ما يؤثّر على شعبه، الذي هو حدقة عينه.

لقد اضطهد "أنطيوخوس" شعب الله أكثر مما اضطهدته الإمبراطوريات الأخرى. إنّ كُتُبَ التاريخ العالمية تُعطي أهمية بسيطة لأعماله، في حين أنها تكتب مجلدات عن الفُرس والروم. لكن الله لا يفعل ذلك، فقد ذكر تفاصيل ما عمله "أنطيوخوس"، ويَعِدُ

شعبه بأنه: "بلا يد ينكسر". إنّ العالم لا يهتم كثيرا بمصير شعب الرب، لكن الله السرمدي يهتم بخاصته.

ما أعظم الرب! كيف له أن يكشف لنَبِيِّه عن تاريخ لم يأت بعد، يكشف عنه قبل قرون من حدوثه؟! لأنه ربُّ التاريخ؛ فكل الأحداث، في كل مكان تخدم مشيئته.

يا لها من طمأنينة، أن نعرف أنه لا يمكن لأيّة قوة من قوى الشر، أن تقوم بدون أمره. يا له من عزاء، حين ندرك أنَّ الذي يحكم التاريخ، هو الذي ضَمِنَ أن ابنه سوف ينتصر أخيرا، على كل مُلكٍ وسلطان، وأنّ كل الشر سينتهي حتما.

يا لها من حماقة عند مقاومة ذلك الإله، ويا لها من حكمة عندما نسير معه، ويا لقوة هذه الحُجَّة: "إن كان الله معنا، فَمَنْ علينا" (رو8: 31).

الملاك "جبرائيل" من عند الرب:
نقطة أخرى يجب أن نلاحظها قبل أن نترك هذا الأصحاح: لم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي أتى فيها الملاك "جبرائيل" إلى الأرض، برسالة من الله، فعندما تم إعلان ميلاد "يوحنا المعمدان"، جاء "جبرائيل" إلى "زكريا" وقال له: "أنا جبرائيل، الواقف قدام الله، وأُرسِلت لأكلّمك وأُبشِّرك بهذا" (لو1: 19)، "وفي الشهر السادس من حَمْل "أليصابات"، أُرسِل "جبرائيل" الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها "ناصرة" إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت "داود" اسمه "يوسف" واسم العذراء "مريم" " (لو1: 26و 27).

لقد بشَّر الملاك بولادة طفلين، بعد مولد الأول انطلق أبوه مسبِّحا، وتكلم عن المسيح الآتي، الذي سيولَد بعد قليل من "مريم"، وقال: "مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاصٍ في بيت داود فتاه" (لو1: 68- 69).

وفي الأصحاح الثامن من سفر "دانيآل" قرأنا عن عدة قرون، قرن يفوق آخر، وقرن ينكسر، وأربعة قرون تليه، وقرن صغير يخرج من أحد الأربعة قرون. لكن الرجل الذي أعطاه "جبرائيل" الرسالة، يتكلم هنا عن قرن آخر.

والقرن في الكتاب المقدس – كما رأينا – يرمز إلى قوة حاكمة. وفي هذا الأصحاح نجد الكثير من مثل تلك القوى البشرية، التي قامت ثم اندثرت. لكن تَسبِحَة "زكريا" تؤكد لنا، أنّ الرب في النهاية قد أعطانا قرنا، ألا وهو يسوع. قرنًا أعده الله بنفسه ليأتي إلى العالم. إنه يخبرنا أن كل رياسة وكل سلطان سيسقط حتما. لكن عند الله، القرن الذي سيحكم ويملك. وهذا تأكيد آخر، لواحد من أهم موضوعات سفر "دانيآل" الرئيسية: ليس هناك سلطان أبدي، سوى سلطان الرب يسوع المسيح!!
ليس كبشا ولا تيسا، بل حَمَلا
كَبُرَ "يوحنا المعمدان"، وبدأ خدمته كارزا بـ"المسيَّا" المنتظر، فكيف بشَّر به؟! قال: "هوذا حمل الله" (يو1: 29).

وعندما أُعطي الرسول "يوحنا" امتياز رؤية مشهد رمزي للسماء، فمن الذي رآه يحكم هناك؟ هل كان كبشا؟! هل كان تيسا؟!
لقد رأى أسدا (رؤ5: 5) وُصِفَ بأنه "خروف قائم كأنه مذبوح" (رؤيا5: 6).

بينما كل القرون الأخرى جاءت ومضت، لكن لا يزال قرن عند الله. بينما عبرت كباش وتيوس مسرح التاريخ وانتهت، عند الله "حمل".

كل السماء تهتف قائلة: "مستحقٌ هو الخروفُ المذبوحُ، أنْ يأخذ القدرة والغِنَى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر، كل ما فيها سمعتها قائلة، للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين" (رؤ5: 12و 13).

لا يسع عقولنا إلا أن تقفز من سفر دانيآل أصحاح 8 إلى هذه الشواهد الكتابية الأخرى، فكل واحد منها يشير للآخرين، خاصة وأن القوات المذكورة في هذا الأصحاح، قوات غير دائمة. وعندما نتساءل، أين توجد السلطة والملكوت الأبدي؟ نتذكر في الحال ما أعلنه الله عن "الحمل"، قرن خلاصنا.

هذا سبب قدرتنا على أن نكون في جانب المسيح بدون خجل، في أماكن عملنا ودراستنا، حتى وإن كنّا نفعل ذلك منفردين. وإن رفض أقاربنا وجيراننا المسيح أو تجاهلوه، لكن بإمكاننا أن نكون معه بكل شجاعة؛ فكل القوى الأخرى تنقضي، ولن تثبت مملكة للأبد، سوى ملكوته. كل الذين يضطهدون شعبه سيتحوَّلون للاشيء، لكن شعبه لن يُنسَى. نحن مُسلَّحون بهذا، إننا بكل ثقة ويقين نستطيع أن:

نتجاسر لنكون "دانيآل"..
نتجاسر أن نقف وحدنا..
نتجاسر أن يكون هدفنا راسخاً ثابتاً..
نتجاسر أن نعلن عن ذلك..